مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn : 2572- 0058 / E- Issn : 2676 - 1696
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485
المجلد08 العدد: 02 جـــوان (2024) ص 112/ 123

الجمالي من منظور القراءة الأدبية و القراءة الثقافية في رواية " نزيف الحجر" لإبراهيم الكوني

Aestheticism from the perspective of literary and perspective cultural reading in the novel "Bleeding Stone " by Ibrahim Al-Koni

ط / د : يوسف بن علال *
كلية الآداب واللغات ، جامعة البليدة 02 علي لونيسي (الجزائر)
مخبر الدراسات الأدبية والنقدية
ey.benalal@univ-blida2.dz

أ.د شطاح عبد الله
كلية الآداب واللغات ، جامعة البليدة 02 علي لونيسي (الجزائر)
مخبر الدراسات الأدبية والنقدية
جامعة البليدة 2 علي لونيسي الجزائر

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2024/05/13
تاريخ القبول:
2024/06/13

الكلمات المفتاحية:
- ✓ القراءة الثقافية:
- ✓ القراءة الأدبية:
- ✓ الجمالي:

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أهمية إشراك القراءة الثقافية إلى جانب القراءة الأدبية من أجل بلوغ المستوى التذوقي و الجمالي للنصوص السردية خاصة الروائية منها, وتعد كتابات إبراهيم الكوني من بين الكتابات التي تحمل عمقا أدبيا وثقافيا لا يمكن الظفر بدلالاته ومضمرات الخطاب الكامنة وراء اللغة إلا بعمق النظر و توخي آليات متعددة للكشف عن معاني النص, ورواية نزيف الحجر من بين الروايات التي استطاع فيها الكاتب تطويع اللغة رغم شح البيئة التي دارت فيها أحداث الرواية وهي البيئة الصحراوية. إذ لاسبيل لبلوغ معاني هذه الرواية إلا باعتماد القراءة الثقافية إلى جانب القراءة الأدبية.

Article info

Abstract :

بن علال يوسف

Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article). Enter your abstract here (an abstract is a brief, comprehensive summary of the contents of the article).

Received *13/05/ 2024*
Accepted *13/06/2024*

مقدمة:

سعت المناهج النقدية و النظريات الأدبية المختلفة إلى محاولة فهم النص الأدبي و الكشف عن مآلاتة وسواء كان تناول النص من زاوية سياقه أو نسقه فالهدف واحد هو محاولة بلوغ أمثل الطرق لتذوق مستواه الفني و الجمالي والكشف عن عيوبه.

وتعد مسألة البحث عن الذوق و الجمال في النصوص الفنية مسألة قديمة و إن اختلفت طريقة و مقاييس هذا التذوق .

ومع تعاقب العصور و التطور الذي عرفته البشرية تراجعت فنون أدبية كانت تحتل الصدارة قديما كالشعر وبرزت فنون أخرى أصبحت الأكثر استهلاكا وإنتاجا كالمسرحية و القصة و الرواية التي تعدى صداها حدود الوطن و اللغة, فظهرت الكثير من الأعمال التي وصفت بالعالمية حيث ترجمت إلى الكثير من اللغات و منها ما ترجم إلى أفلام سينمائية ناجحة , ويعد فن الرواية من أبرز فنون العصر الحالي و الذي عرف إقبالا كبيرا من طرف الكتاب و المتلقين على حد سواء و الرواية العربية عامة لم تكن في معزل عن التطور الحضاري المتلاحق عربيا و عالميا , فنافست في الكثير من المحافل الدولية و منها من نالت شرف الريادة و النجاح و الكثير من الجوائز القيمة.

ومن الروايات العربية التي عرفت نجاحا لافتا ما كتبه الروائي الليبي إبراهيم الكوني و الذي أثرى المكتبة الأدبية بأكثر من ثمانين كتابا منها ما ترجم إلى أكثر من 40 أربعين لغة ومن رواياته (التبر) (المجوس) وغيرها.

والرواية محل دراستنا هي رواية (نزيف الحجر) التي أبدع الروائي فيها في تحويل اللغة إلى صور فنية رائعة وذلك مانلمسه جليا عند قرائننا للرواية .

أردت من خلال هذه الورقة البحثية الكشف عن أهمية النظر إلى النص من زاويته الأدبية و الثقافية و مدى تحقق المستوى الجمالي من خلال هاتين القراءتين.بالإضافة إلى إبراز أهمية القراءة الثقافية في الكشف عن الجوانب المضمرة في النص الفني.

فهل القراءة الأدبية كافية للكشف عن مآلات النص و مستواه الجمالي أم أن القراءة الثقافية ضرورية لبلوغ ذلك؟

للإجابة على هذا التساؤل كان لابد من ضبط بعض المفاهيم كالجمالية و القراءة الأدبية و القراءة الثقافية تم المرور إلى نموذج تطبيقي من خلال إبراز بعض الأبعاد الجمالية الأدبية والثقافية للرواية و قد كان المنهج الوصفي التحليلي الأنسب في معالجة هذا الطرح

1.العنوان الرئيسي الأول : تعاريف ومصطلحات

1-1 العنوان الفرعي الأول:

1 2.التعريف بالجمالية

لقد أخذت الجمالية مفاهيم متعددة حسب تنوع المرجعيات وعبر سلسلة التاريخ البشري وما يهمنا في موضوعنا هذا هو أخذ فكرة عن الجمالية وكيف تحولت من النظر إلى الممسوس من الملموس.

الجمالية لغة: الجمال في اللغة هو الحسن في الخلق و الخلق أجمل في الطلب أي لم يفرط و ولم يلح, و أجمل الشيء أي جمعه.[1]

- و الجمال هو البهاء و الحسن ويقع الجمال على الصور و المعاني و منه الحديث " إن الله جميل يحب الجمال" أي حسن الأفعال كامل الأوصاف.[2]

الجمالية اصطلاحا: يحسب مصطلح الجمال أو الإستطيقا ضمن المصطلحات الفلسفية , ويعتبره القاموس الفرنسي بأنه شق من الفلسفة يدرس علم الجمال وقد تعاقبت النظرة الفلسفية من أفلاطون إلى أرسطو قديما ثم إلى كانط و هيجل و سارتر حديثا.

ويبدو أن مصطلح الجمالية قد أخذ قسطا وافرا من الدراسة و التمعن و الكثير من التعريفات ومن عديد المرجعيات وما يهمنا نحن في بحثنا هو محاولة ضبط تعريف يصب في قالب التذوق الفني للنصوص الأدبية حيث يعرف "جبور عبد النور" الجمالية أو علم الجمال بأنه علم يتناول ناحيتين:

-. طبيعة الإحساس الفني

-. ما يبعث الجمال في شكل من أشكال الفن أو التعبير أما مصطلح الجمال "فهو ما يثير فينا إحساسا بالانتظام و التناغم و الكمال, وقد يكون ذلك في مشهد من مشاهد الطبيعة أو أثر فني من صنع الإنسان"[3] وفي مقاربة لصلاح فضل و في تعليقه على أطروحات الفيلسوف الايطالي "كروتشيه" بأن أفكار كروتشيه تطرح تصورا أسلوبيا للغة حيث يعتبرها ظاهرة جمالية تفرض عدم الفصل بين اللفظ و المعنى أو الشكل و المضمون.

كما أنه لا يمكن عزل العمل الفني عن سياقه الجمالي ، فلكل عمل أدبي أو فني سياقه

ولعل ماهو بارز في تراثنا الأدبي و النقدي بخصوص الجمال و النظرة الجمالية اتضح في نظرية عبد القاهر الجرجاني المعروفة بنظرية النظم أن الألفاظ لا يمكن أن تثبت لها الفضيلة إلا من خلال ملائمتها لمقامها ومقتضى حالها.

يقول الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز" : " اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه".[3]

لعل الهدف الذي يصبو إليه القارئ من خلال تفاعله مع النص هو التذوق وإدراك مستواه الجمالي ، وفي هذه الرحلة تكون اللغة هي الوسيلة التي يبلغ من خلالها القارئ هذا المستوى، وتكون بذلك بمثابة مترجم لما يحتويه النص من معاني متعددة ظاهرة كانت أم باطنة.

إذن فالجمالية تتعلق أساسا بما يحدثه العمل الفني من أثر في النفس كما أن المعرفة التي يمتلكها القارئ من تجارب وثقافة شخصية، ونظرة تذوقية هو ما يساعده على بلوغ ما يمكن بلوغه من التذوق الفني و الجمالي.

2.1 عنوان فرعي ثاني

-القراءة الأدبية و القراءة الثقافية للنص الأدبي:

أ . يجدر بنا التعريف بمصطلح القراءة أولا وذلك كونه آلية لبلوغ ما يخفيه النص الفني و إن اختلفت طرق تناوله.

ب . **تعريف القراءة لغة:** جاء في بعض معاجم اللغة العربية أن القراءة تحمل معنى (الجمع و الضم)[4] و زاد بعضهم (الضم والنطق و الإبلاغ معا)[4]

ج . **أما اصطلاحا:** فتعرف القراءة على أنها "عملية ذهنية وفيزيولوجية و عاطفية تفسر من خلالها الرموز و الكلمات التي تصل إلى العقل عن طريق العينين، فيقوم بربطها منطقيا بدلالاتها لتكوين المعنى المراد وفق ما توافر لدى المتعلم من معارف وخبرات سابقة وتتطلب هذه العملية المتشابكة سلامة الحواس"[5]

ولضرورة ما يتطلبه البحث وهو التركيز على التعريف من الناحية الأدبية و النقدية، فمصطلح القراءة من أكثر المصطلحات رواجا وانتشارا في حقل الدراسات الأدبية و النقدية.

ورغم قيمة فعل القراءة تاريخيا لم يلق نفس الاهتمام الذي عرفه حديثا، ويرجع ذلك للبعد الفلسفي الذي غاب قديما عن النصوص الأدبية، فكان لتطور الحياة بصفة عامة و العلوم المختلفة

كالفلسفة و المنطق وغيرهما من العلوم، إضافة إلى ما عرفه الفكر الحديث أو ما يسمى بما بعد الحداثة .أصبح فعل القراءة منهجا نقديا قائما بذاته، وهذا ما تبنته نظرية القراءة و التي توصف بأنها (واحد من اتجاهات ما بعد البنيوية في نظريات النقد العالمي الحديثة).

فالقراءة بمفهومها النقدي و الأدبي تعني تعدد التأويلات واختلاف زوايا النظر في التعامل مع العمل الفني على اختلافه واعتباره كائنا حيا يتفاعل معه القارئ مستعملا خبراته السابقة وثقافته الشخصية.

3-1 . القراءة الأدبية:

إن مصطلح القراءة الأدبية لا يعني أبدا المتابعة الخطية و البصرية للمكتوب بل هو عملية متشابكة و معقدة جدا فيه، فلا تقف عملية القراءة عند حدود النص بل تسافر في دروب متعددة من الدلالات التي نجدها في عملية تناولنا للنص.

كعملية التفكيك و الهدم والبناء و التجميع و التأويل وغير ذلك من العمليات التي تتم أثناء عملية القراءة النقدية و الادبية، وهذا ما يعبر عنه الناقد محمد مندور بثقافة الناقد التي قد يحتاج إليها من آليات لغوية في النحو والصرف و البلاغة و العروض أو المعرفة بالمناهج النقدية التي تساهم في عملية التأويل و التي هي في الواقع مناهج قراءة أو الاستفادة من العلوم التي يحتاجها القارئ الناقد كالعلوم التي تساهم في فك شفرات النص كعلم النفس و الاجتماع و الفلسفة و غيرها من العلوم، وهذا ما يساهم حتما في اختلاف القراءات للنص الواحد مع اختلاف القراء ومرجعياتهم الفكرية وثقافتهم الشخصية ليصبح النص بهذا المفهوم ملكا للقارئ وليس للمؤلف وهذا ما عبر عنه (رولان بارت) بموت المؤلف.

فالقراءة الأدبية للنص تمر بعدة مستويات فمن ناحية سياقته هناك ظروف أنتجته كانت نفسية أم اجتماعية أم تاريخية وقد استعان النقاد في تحديد وفهم هذه الظروف بعلم النفس والاجتماع و التاريخ.

أما على مستوى النسق فقد ساهمت اللسانيات الحديثة بشتى فروعها في فهم وتفكيك النص سواء على المستوى الصرفي أو النحوي و البلاغي و الصرفي و اعتمدت على تحليل البنى اللغوية بوصفها مكونا للنص ودلالاته، وقد برز هذا الاتجاه عند الغرب متأثرا بالرؤى التي قدمها فرديناند ديسوسير الذي مهد لظهور النبوية كمنهج نقدي لساني.

كما عرفت القراءة الأدبية أيضا ميلاد ما يعرف بنظرية القراءة و التأويل التي برزت إلى الوجود بعد التراكم الذي حصل من المناهج المختلفة و التراكم الذي عرف في المعرفة البشرية.

وفي هذا السياق أعطت هذه النظرية للقارئ الأولوية في عملية التأويل و جعلت منه منتجا ثانيا للنص إضافة إلى استفادة هذه النظرية من التقارب الذي حصل بين الماركسية والبنائية الذي ولد ما يعرف " بالسميوطيفا " التي تهتم بعلم العلامات و نظرية التواصل الحديثة في اللسانيات.

وتعتبر هذه أهم المستويات التي عرفتها عملية القراءة الأدبية للنص الفني ، ورغم هذه الجهود إلا أن فريقا من النقاد رأوا أن ذلك لم يكن كافيا لبلوغ المستوى الجمالي والتذوقي للنص ما فتح المجال أمام ما يعرف بالقراءة الثقافية.

4-1 . القراءة الثقافية:

رغم ما قدمه النقد الأدبي في الكشف عن الجمال في النصوص الفنية و تذوقها جماليا فإنه في الواقع ظل حبيس النص و الدوال اللغوية و لم تكن له القدرة في الكشف عن مواطن الجمال الأخرى المتجلية فيما تخفيه الخلفية الثقافية المضمرة وراء الخطاب أو النص.

هذا ما دفع الكثير من النقاد إلى تبني نهج جديد يحل محل النقد الأدبي و هو النقد الثقافي و من بين هؤلاء عبدالله الغدامي الذي نادى بموت النقد الأدبي و إحلال النقد الثقافي، و هذا لا يعني أبدا إلغاء الآليات البلاغية و غيرها من آليات النقد الأدبي بل الاستعانة بمصطلحات أخرى تكون مساعدة على فهم النصوص وتذوقها جماليا بعيدا عن نسقها.

فالقراءة الثقافية للنصوص الفنية على خلاف القراءات السابقة تعتمد أساسا على تتبع مضمرات الخطاب وفق آليات النقد الثقافي، و يعود تاريخ النقد الثقافي إلى القرن 18 في أوروبا ومع مرور الوقت تطور هذا المنهج في تسعينيات القرن العشرين مع المفكر الأمريكي " فست ليتش" حيث نادى بتجاوز نقد ما بعد النبوية و تبني جوانب أخرى تساعد على فك مضمرات النصوص الأدبية و الفنية و الآثار التي تخلفها في ذهن المتلقي، وخلافا للمناهج السابقة التي تعاملت مع المتلقي النخبوي فإن المنهج الثقافي تعامل مع المتلقي الهامشي الذي يسعى إلى تبليغ رسالته في العالم في شكل صوت جماعي، و النقد الثقافي لا يولي أهمية للأثر البلاغي و اللغوي و الجمالي للنص إنما يسعى للكشف عن المضمر بين سطور الكنايات والتي لم يستطع الكاتب أو لم يرد الكاتب الإفصاح عنها.

ويتوخى النقد الثقافي مجموعة من الآليات أهمها النسق و الحملة الثقافية ، و التورية الثقافية و المؤلف المزدوج.

ويعتبر الكشف عن الأنساق الثقافية أولوية من أولويات القراءة الثقافية للنص الفني،لذلك لابد من المرور بتعريف النسق والنسق الثقافي.

1-5 . تعريف النسق:

أ . لغة: يرجع مصطلح النسق إلى الجذر اللغوي (ن،س،ق) وقد وردت كلمة النسق في معظم معاجم اللغة العربية بمعنى النظام ففي لسان العرب " النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد".[5]

أما ابن فارس فيعرف النسق على أنه (أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، وكلام نسق أي جاء على نظام واحد).[6]

أما في اللغات الأخرى فنجده مرادف لكلمة system في اللغة الفرنسية أو system في اللغة الإنجليزية حيث اعتمد قاموس الأطلس الإنجليزي العربي تعريفا هو أن النسق (مجموعة عناصر متفاعلة أو متبادلة العلاقة أو معتمدة على بعضها البعض مكونة كلا معقدا).[7]

فنجد أن معظم التعريفات اللغوية تشترك في أن النسق يحمل معنى النظام الواحد من الأشياء أو العينات.

ب . النسق اصطلاحا: وردت عدة تعاريف اصطلاحية للنسق و نعرض تعريف لمحمد مفتاح حيث يرى بأن هناك نواة مشتركة بين هذه التعاريف، وهي أن (النسق مكون من مجموعة من العناصر أو الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين عنصر وآخر).[8]

1-6 النسق الثقافي: يعرف النسق الثقافي على أنه وحدة ثقافية دالة داخل مجموعة من الوحدات يتطابق مع تلك التي تحيل عليها العلامات وتعتبر الثقافة في حد ذاتها نسقا " وفي هذا الأفق فإن الثقافة في كليتها ينظر إليها باعتبارها نسقا من أنساق العلامات ، حيث يصبح داخلها مدلول دال ما دالا لمدلول".[9]

ويذهب الناقد الجزائري أحمد يوسف في تعريفه للنسق الثقافي على أنه "نوع من المؤسسات ذات قاعدة اجتماعية "[10] وهذا ما يجعل من النسق سلطة اجتماعية تؤثر في توجهات الأفراد، أما الغدامي فيصف الأنساق الثقافية على أنها " تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما".[11]

فالنسق الثقافي لا يمكنه التكون إلا في بيئة اجتماعية معينة و تشمل الفنون و الأخلاق و اللغة وغيرها.

ويعد ليفي شتراوس أول من نقل مصطلح النسق إلى الحقل الثقافي سنة 1957 في دراسته (الأنتروبولوجيا البنيوية)

وفي سياق التعريف بالنسق الثقافي ذهب سعيد يقطين إلى القول بأن "لا يمكن لكاتب النص أن يكون خارجا عن السياق الذي يتفاعل معه إيجابا أو سلبا قبولا أو نفيا".[12]

1 - 7 أنواع النسق الثقافي: للنسق الثقافي نسقان رئيسيان هما:

أ. النسق المضمر: وهو نوع قديم ظهر على شكل معاني غير معلن عنها تحملها الكلمات كالهجاء والمدح وغيرهما وتجعل القراءة الثقافية مهمة البحث عن الغاية المقصودة من ما يريده الكاتب.

ب . النسق الظاهر أو المعلن: وهذا النوع من الأنساق الموجه للقارئ العادي و الذي يكفي استنباطه و الإلمام بمعناه بمجرد معرفة القارئ للواقع الثقافي أو السياق الذي قيل فيه النص.

وقد جاء النقد الثقافي كآلية جديدة لتحليل الخطابات و النصوص ومن المصطلحات الإجرائية التي تأسس عليها:

ا. الجملة الثقافية: وتأتي بعد الجملة النحوية و الجملة الأدبية أي بعد المفهوم الصريح للنص و المفهوم البلاغي و هي جملة تكشف عن النسق و تعبر عنه وتحدد دلالاتها في الثقافة الواحدة.

- التورية الثقافية: وهو مصطلح استعارة النقد الثقافي من البلاغة ويعطي معنى غير معناه البلاغي حيث تغوص في البحث عن المضمر في الخطاب و الذي قد لا يقصده الكاتب بل يكتشفه الناقد خلال دراسته.
- المؤلف المزدوج: ويشير المصطلح إلى الثقافة بوصفها شخص معنوي نسقي مهيمن على الناقد و الكاتب و القارئ فالجميع تحت سلطة الثقافة التي توجههم.
- المجاز الكلي: توسعت في النقد الثقافي دائرة المجاز من المستوى البلاغي إلى المستوى الثقافي فأصبحت الجملة الثقافية بعد الجملة البلاغية و النحوية، فالجملة الثقافية هي مكون ثالث لفعل الخطاب، وتحتمل دلالات أوسع و التي تقود إلى ما يسمى بالمجاز الكلي و بالتالي نقد الأنساق بدل النص ولغته.

تعتبر هذه المصطلحات الإجرائية التي جاء بها النقد الثقافي من أجل التعريف له كمنهج مستقل عن المناهج الأخرى في التعامل مع النصوص الأدبية.

2- قراءة أدبية وثقافية لرواية " نزيف الحجر" لـ إبراهيم الكوني

2-1 التعريف بالروائي: ابراهيم الكوني كاتب وروائي ليبي طارقي يؤلف في الدراسات الأدبية و اللغوية والنقدية و السياسية والتاريخية من مواليد 1948م بمدينة غدامس الليبية ، بعد دراسته الإعدادية زاول تكوينه بروسيا، له العديد من المؤلفات فاقت 80 مؤلفا حاز على الكثير من الجوائز كما شغل العديد من المناصب.

2-2 ملخص رواية نزيف الحجر: تصور أحداث الرواية الصراع الأزلي بين الخير والشر حيث مثلت شخصية "أسوف" الجانب الخير وهو بطل الرواية وكل ميوله هي إحلال الخير، وشخصية "قابيل" الذي يمثل الشر، وقد استقى الكوني من قصة "هابيل وقابيل" عناصر الملحمة التي كان مسرحها الصحراء اليبية، فالرواية في عمومها تصور مرحلة من مراحل تاريخ ليبيا أثناء الاستعمار الإيطالي وتكالب الدول الاستعمارية على ثرواتها, ما تطلب اليقظة و التعامل بشيء من الواقعية لأن البراءة والإرادة الخيرة لا تصلح طريقة للحياة في بعض الأحيان " فأسوف" لا يستطيع العيش وسط تلك الأجواء.

2-3 قراءة أدبية في رواية نزيف الحجر: عند قراءتنا للرواية " نزيف الحجر" نجد أن الروائي قد ألغى الخصوصية الفكرية والثقافية للشخصيات وأذاب كل ذلك في اللغة العربية الفصحى وذلك ما أفقد الرواية تلك الجمالية التي تحدث عند التفاعل بين الشخصيات المتباينة، و ما جاء نادرا في الرواية من استعمال اللغة العامية أو المحلية ما قاله قابيل : اسمع شن سماك ربي؟ سوف نذهب لتفقد الوديان القريبة قبل المغيب رد بالك من المتاع والزاد.

فكان استعمال اللغة وفق خصوصية الشخصيات قليل جدا أما عن استعمال اللغة الأجنبية فكان ذلك ضئيل جدا، فنجد مثلا قوله Oh my God ! she whaiting for? [13] و هو ما قاله الطيار الزنجي.

وهذا ما جعل محاكاة الرواية للواقع الذي يصفه الكوني بعيدة نوعا ما.

ونجد أن الكوني استعمل أسلوب التناص الذي جاء نتيجة تنوع المصادر التي استقى منها أحداث الرواية ما أضفى عليها بعدا دلاليا يتجدد مع كل قارئ ومع كل قراءة و تتجلى الجمالية في الحوار المفتوح بين القارئ و أحداث الرواية.

لقد اعتمد الكوني مجموعة من المظاهر الفنية من أجل جلب المتلقي حيث يظهر ذلك في استعماله للغة الشعرية البسيطة في تراكيبها العميقة في معانيها، بدأها باستعمال أسماء مثل (قابيل ، أسوف، الودان ، متخندروش، أبرهوه) فهذه الأسماء منها ما يحمل بعدا دينيا ومنها ما يحمل بعدا أسطوريا.

وما ميز الرواية الوصف الدقيق للأشخاص ومسرح الأحداث و تداخل أزمنة السرد ليوقع القارئ في كثافة الأحداث وتداخلها دون أن يقع في التساؤل عن الحل أو النهاية، كما أن أسلوب التناص الذي اعتمده الروائي للنصوص الدينية المختلفة أضفى على الرواية شاعرية واضحة المعالم ، "السمات الأسلوبية في النص الروائي هي الجوهر الأساسي في الشعرية"[14]

لعل البعد الأسطوري للرواية جعل منها محركا أساسيا للعمل الروائي عند الكوني حيث استدعى العديد من الأساطير التي تحيل القارئ دائما إلى البحث كما أن استدعاء النصوص الموازية التي استقى منها الكوني و جعل لها حضورا في الرواية من الأساليب التي تعمدها الروائي وذلك من أجل استدراج القارئ.

ويعد الواقع الاجتماعي والثقافي عاملا من عوامل نزوع الكوني إلى استحضار الأسطورة ويعد ذلك جانب من التحولات التي عرفتها الرواية العربية الحديثة حيث عرفت التجريب الجمالي.

وعموما فإن الروائي استعمل مجموعة من الاستراتيجيات والتقنيات الروائية أدبيا في استدراج المتلقي وجعله متشبثا بأحداث الرواية حيث تعمل اللغة البسيطة في معظمها على جعل القارئ يتتبع أحداثها الحدث تلو الحدث.

4.2 قراءة ثقافية في رواية نزيف الحجر

اذ كانت اللغة و دلالاتها واستعمالها وتعدد أساليبها محور القراءة الأدبية فإن القراءة الثقافية تعتمد أسسا أخرى للكشف عن البعد الجمالي للرواية من خلال تجاوز الدلالات اللغوية وأساليبها و الغوص أكثر في خباياها و المضمر من معانيها، إذ القراءة الثقافية تضع في الحسبان التجربة و الخبرة الثقافية التي يمتلكها المتلقي أو القارئ.

ولعل ما يعترض القارئ أو المتلقي عند قراءته للرواية ثقافيا هو مجموعة من الكوامن والمضمرات وراء لغة الرواية تجلت في مجموعة من الأنساق الثقافية المضمرة منها:

- **النسق الديني:** وأبرز ما يمثله الموروث الصوفي الذي يسود الحياة الدينية من حسن خلقي وطقوس عبادة، حيث نجد حضورها في الرواية حيث تميز أسوف ووالده بها ونجد ذلك في قول الروائي " وكان يسبل جفنيه ويتمايل يمينا ويسارا مقلدا شيوخ الصوفية"[15] هنا في إشارة إلى والد أسوف.

أما عن أسوف ذاته فنجدها في قول الروائي "لا يروق للتيوس أن تتناطح أمام وجهه إلا عندما يشرع في الصلاة".[16]

كما نجد أثر التصوف فيما وقع لأسوف لحظة فراره من العسكر الطليان وهو يجري على قدمين حافيتين حتى يختفي في الظلمات، حيث هز الصوفيون الحكماء رؤوسهم من الدهشة و ذلك في قول الروائي "الصوفيون الحكماء في الواحات هزوا رؤوسهم من الوجد وألقوا بالبخور في النار، و أجمعوا ذلك ولي من أولياء الله وفي الليل ذهبوا إلى الزاوية ونظموا حفلة ذكر ..."[17] هذا الحضو الصوفي كسب الرواية بعدا جماليا لافتا خاصة عند تتبع الطقوس التي تبدو غريبة في بعض الأحيان للمتلقي.

كما أن ظهور أسوف حافظا لكتاب الله (القرآن) و الذي تكفل بتعليمه يشير إلى النسق الديني حيث نجد قول الروائي "... ويلقنه الفاتحة كي تساعده في الصلاة، كل يوم عليه أن يحفظ آية من الآيات ..."[18]

ونجد البعد الصوفي في الرواية يشير إلى خصوصية تكتسي منطقة المغرب العربي خصوصا ذلك ما يظهر في اهتمام الآباء بتحفيظ الأولاد في الصغر القرآن الكريم.

وقد استعان الكوني في بناء روايته على هذا العنصر (القرآن الكريم) الذي يمثل البعد الديني وتجسد في شخصية أسوف الذي لا يصدر منه إلا الخير وحبه للجميع.

5.2 النسق الاجتماعي:

ويبدو ذلك في الخطأ الذي وقع فيه والد أسوف في جعله شخصا اجتماعيا وذلك بإبعاده عن مخالطة الناس لأنه كان يرى بأنهم مصدر شر له و لعائلته وذلك في قوله "الإنسان الذي يفضل الخير لابد أن يهرب من الناس حتى لا يلحقه الأذى".[19]

وقد أثر ذلك على شخصية أسوف في فشله عند لقائه بقابيل آدم ومسعود الدباشي لم يعرف كيف يتعامل معهما ، فعمل على إخفاء ذلك النقص بإصدار حركات عشوائية "سارع بعدل من وضع لثامه على وجهه"[20] هذا ما جعل أسوف يعاني في الأمور الاجتماعية ولاقى الطفل الطعن حتى من أمه التي وصفته بالبنت ويظهر ذلك في قول الروائي بكت وقالت : "الذنب ليس ذنبك، المرحوم هو الذي خلق منك بعيرا بقرعه ظل الأنس".[21]

6-2 النسق الأخلاقي:

وتجلى ذلك من خلال ما صوره الكوني عن الميزة الأساسية و الخلق الرفيع الذي تميز به ساكن الصحراء من كرم ضيافة، وذلك منذ القدم، فتراه عند قدوم الضيف يجعله أولى أولوياته ويتفرغ لخدمته ويؤجل جميع التزاماته الأخرى وهذا ما حدث في الرواية وهذا ما أورده الروائي في قوله "... أيقظته مشادة حامية بين الأم و الأب عرف أن الخلاف أثارته تلك الرحلة المفاجئة..."

حيث كانت الأم ضد هذه الرحلة حيث رأت أنه من العيب والعار السفر وترك ضيوف الوادي لحالهم.

هذه الخصوصية التي أشارت إليها الرواية وهي كرم الضيف لم تكن صفة عابرة بل كانت صفة متجذرة في الإنسان الصحراوي لها من القدسية مالها وهي إشارة إلى سلامة الفطرة وطهارة النفس.

7-2 النسق الأسطوري: عن الأسطوري فقد استدعى الروائي شخصية هابيل وقابيل اللذان حمل كل منهما صفات متناقضة.

فشخصية هابيل التي بدت شخصية مسالمة محبة للخير يتجسد تارة في شخص الراعي وتارة في الغزالة على اعتبار أن أسوف و الغزالة في الرواية أما هابيل فهو في الأسطورة.

أما عن قابيل الذي كان حضوره رئيسيا في الرواية باعتباره أحد شخصياتها فكانت شخصية طفل منحوس وقاس ومرعب ذو شخصية تسلطية، وبذلك يحدث التناقض بين ركيزتي الرواية وتتحقق مقولة "الإخوة الأعداء"[22]

إن البعد الأسطوري الذي اعتمده الروائي في رسم استراتيجيات كتابته للرواية أضفى عليها بعدا جماليا منقطع النظير يتجدد مع كل قراءة لها ويفتح للقارئ العديد من التأويلات و التفسيرات ويحيله إلى البعد الثقافي الذي أراده الروائي وإسقاطه على واقع الشعوب العربية.

إضافة إلى هذه الأنساق التي ذكرت نذكر أيضا استثمار الكوني للبيئة الصحراوية وإظهار صفات البدو الرحل ووصفه لهم في نشاطهم و حركتهم الدائمة ومصارعتهم للظروف البيئية القاسية,

4. خـــاتمة:

إن تكشف البعد الثقافي للرواية لا يتأتى للمتلقي إلا من خلال ثقافته وخبرته السابقة، فيجعله أكثر تذوقا للنص من غيره.

لذلك فالقراءة الثقافية ليست كباقي أنواع القراءة الأخرى إذ لابد للقارئ أن يكون مسلحا بآلياتها إضافة إلى سعة افقه وثقافته .

ومن هنا يتضح أن القراءة الأدبية ورغم ما تحمله من جماليات أسلوبية متنوعة تبقى قاصرة عن الولوج إلى كوامن النصوص وتحديد مآلاتها كما أن الجمالية تتحقق أيضا في رحلة البحث عن المعني الذي تتقصاه القراءة الثقافية.

على الرغم من أن الكثير من النقاد والأدباء العرب أنكروا القراءة الثقافية واعتبروها مجرد تقليد وتأثر بالغرب لكن في الواقع لا يمكن نكران الخصائص التي تميز بها هاذ المنهج منها الشمولية وقبول التعامل مع جميع المناهج الأخرى على اختلافها و الاستفادة منها ومحاولته الكشف عن المضمر من الخطاب في الأعمال السردية وكشف العيوب النسقية ، كما يساعد على تذوق النص جماليا من خلال بلوغ مالاته.

وفي رواية نزيف الحجر لا يمكن الاكتفاء بالقراءة الأدبية للنص والاستغناء عن القراءة الثقافية، لأن الإلمام بمعاني الرواية وتذوقها يتطلب خبرة وتجربة قرائية وثقافة واسعة من أجل سبر أغوارها ، وذلك للعمق الذي بلغته الرواية في استحضار الأسطورة و التاريخ والأبعاد المختلفة.

إن التناقضات المعيشية التي حاول الروائي الكشف عنها في حاجة ماسة إلى أسلوب الغرابة التي استعملها الكوني كإستراتيجية للتشويق وجلب المتلقي و هذا ما يستدعي الحاجة إلى القراءة الثقافية.

يحتاج المتلقي في كشف وتتبع أسلوب الخيال الذي اعتمده الروائي إلى الكثير من التمعن وسعة النظر ، خاصة في استنطاق عناصر جامدة كالحجر والرمال والشجر ، والعناصر الأخرى والتي كانت حاضرة في الرواية .

إضافة إلى الأنساق الثقافية المعتمدة من طرف الروائي في رسم معالم روايته والتي تحتاج إلى قراءة ثقافية هناك أيضا واقع سياسي فرض قيود على الأدباء والمثقفين جعلهم يجنحون إلى أسلوب شبه غامق للهروب من الرقابة السياسية ، وهذا الأسلوب يحتاج بالطبع إلى التحليل والتأويل المتعدد.

إن رواية نزيف الحجر ترسم صورة حية لحياة البدو الرحل وطريقة عيشهم وشتى خصالهم ، وقد استطاع الروائي تطويع اللغة ورصد الكثير من المعالم وإحالة المتلقي أيضا إلى العديد من المحطات التاريخية والدينية والأسطورية ، لذلك أصبح من الضروري عدم الاكتفاء بالقراءة اللسانية والأدبية عموما إذ لابد من إشراك القراءة الثقافية.

5. قائمة المراجع:

أولا المؤلفات

1- إبراهيم الكوني الرواية 1992 .

2- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء (1999) مقاييس اللغة العربية دار صادر بيروت ط د المجلد الخامس .

3- ابن منظور (2003) لسان العرب ، دار صادر، بيروت د ط مجلد 14 مادة نسق .

4- أمبريتو إيكو ، العلامة ، تحلبل المفهوم و تاريخه ص 177 ترجمة سعيد بنكراد راجع النص سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ط 2 ،2010 الدار البيضاء المغرب

5- سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ،النص و السياق، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2 ،2001 ، .

6- عبد الله الغدامي (2001) النقد الثقافي قراءة الأنساق الثقافية العربية المركز الثقافي العربي ط 2 لبنان بيروت .

7- قاموس أطلس انجليزي عربي (2003) دار أطلس للطباعة والنشر 1 مادة system

8- محمد مفتاح (1996) التشابه و الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ط 1 ص 159 الدار البيضاء المغرب.

1- [1] بنظر الفيروز بادي , القاموس المحيط ج 3 مادة (الجمل) دار العلم للجميع بيروت لبنان (د ت) ص351

2- 2 بنظر ابن متطور لسان العرب المجلد 1 مادة (جمل) دار لسان العرب بيروت لبنان (د.ت) ص 503

3- 4 جبور عبد النور ، المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1979 ص 86. 87

4- 15الأزهري: تهذيب اللغة مادة قرأ

5- 5 ابن منظور (2003) لسان العرب ، دار صادر، بيروت د ط مجلد 14 مادة نسق ص 15 ، 284

6- 6 ابن فارس أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء (1999) مقاييس اللغة العربية دار صادر بيروت ط د المجلد الخامس ص 420

7- 1 قاموس أطلس انجليزي عربي (2003) دار أطلس للطباعة والنشر 1 مادة system

8- 8 محمد مفتاح (1996) التشابه و الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ط 1 ص 159 الدار البيضاء المغرب

9- 9أمبريتو إيكو ، العلامة ، تحلبل المفهوم و تاريخه ص 177 ترجمة سعيد بنكراد راجع النص سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ط 2 ،2010 الدار البيضاء المغرب

10- 10 عبد الله الغدامي (2001) النقد الثقافي قراءة الأنساق الثقافية العربية المركز الثقافي العربي ط 2 لبنان بيروت ص 72

11- 11 المرجع نفسه ص 77

12- 12 سعيد يقطين ، انفتاح النص الروائي ،النص و السياق، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب ط 2 ،2001 ، ص 34

13- 13ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 21

14- 2ابراهيم الكوني نزيف الحجر ص 126

15- 14 جان كوهين ، بنية شعرية، ترجمة محمد الوالي ومحمد العمري دارتوبقال للنشر الدار البيضاء 05 المغرب ص 117

16-

17- 15إبراهيم الكوني الرواية 1992 ص 24

18- 16إبراهيم الكوني الرواية 1992 ص 7

19- 17إبراهيم الكوني الرواية 1992 ص 83،84

20- 18إبراهيم الكوني الرواية 1992 ص 23

21- 19إبراهيم الكوني الرواية 1992 ص 10

22- 20إبراهيم الكوني الرواية 1992 ص 18

23- ابراهيم الكوني الرواية 1992 ص 2137

24- 22إبراهيم الكوني الرواية 1992 ص 24